واستوخم رصعه وكان التكلف باردا والتصرف جامدا وربما اتفق مع ذلك في كلامه
النادر المليح كما يتفق البارد القبيح فاما البحتري فانه لا يرى في التجنيس ما يراه
ابو تمام ويقل التصنع له فاذا وقع في كلامه كان في الاكثر حسنا رشيقا وظريفا
جميلا وتصنعه للطباق كثير حسن ونعمته في وجوه الصنعه على وجه طلب
السلامه والرغبه في السلاسه فلذلك يخرج سليما من العيب في الاكثر واما
وقوفه لالفاظه عن تمام الحسنى وقعوده العبارات عن الغايه القصوى فشئ لا بد
منه وامر لا محيص عنه كيف وقد وقف على من هو اجل منه واعظم قدرا في هذه
الصنعه واكبر في الطبقه كامرئ القيس وزهير والنابغه والى يومه ونحن نبين
تميز كلامهم وانحطاط درجه قولهم ونزول طبقه نظمهم عن بديع نظم القرآن
في باب مفرد يتصور به ذو الصنعه ما يجب تصوره ويتحقق وجه الاعجاز فيه
بمشيته الله وعونه ۞ **ثم رجع الكلام بنا الى ما قدمناه**
من انه لا سبيل الى معرفه اعجاز القرآن من البديع الذي ادعوه في الشعر ووصفوه
فيه وذلك ان هذا الفن ليس فيه ما يخرق العاده ويخرج عن العرف بل يمكن
استدراكه بالتعلم والتدرب به والتصنع له كقول الشعر ورصف الخطب وصنا
عة الرساله والحذق في البلاغه وله طريق يسلك ووجه يقصد وسلم يرتقى فيه
اليه ومثال قد يقع طالبه عليه فربما انسان يتعوذ ان ينظم جميع كلامه شعرا
او يتعوذ ان يكون جميع خطابه سجعا او صنعة متصلة لا يسقط من كلامه حرف
وقد يباعده ما قد تقوده وانت ترى ادباء زماننا يضيفون المحاسن في جزء وكذلك
يوالفون يقولون انواع البارع ثم ينظرون فيه اذا اراد وا انشاء قصيده او رساله
او خطبه فيحشون به كلامهم ومن كان قد تدرب وتقدم في حفظ ذلك اشتغل
عن هذا التصنيف ولم يحتج الى تكلف هذا التاليف وكان ما اشرف عليه من هذا
الشان باسطا من باع كلامه وهو شحا بانواع البديع ما يحاوله من قوله وهذا
طريق لا يتعذر وباب لا يمتنع وكل يا خذ فيه ما خذا ويقف فيه موقفا على قدر
ما معه من المعرفه وبحسب ما يمده من الطبع فاما شان نظم القرآن فليس له مثال
يحتذى اليه ولا امام يقتدى به ولا يصح وقوع مثله اتفاقا كما يتفق للشاعر
البيت النادر والكلمه الشارده والمعنى الغريب والشئ القليل العجيب وكما
يلحق من كلامه بالوحشيات ويضاف من قوله الى الا وابد لان ما جرى هذا المجرى
ووقع هذا الموقع فانما يتفق للشاعر في لمع من شعره وللكاتب في قليل من رسائله
وللخطيب في يسير من خطبه ولو كان كل شعره نادرا ومثلا سايرا ومعنى بديعا

ولفظا رشيقا وكل كلامه مملوا من رونقه ومائه ومملا بهجته وحسن روايه ولم
يقع فيه المتوسط من الكلامين والمتردد بين الطرفين ولا البارد المستثقل والغث
المستنكر بل له اعجاز في الكلام ولم يزل التفاوت والعجيب من النظام والتظام
وهذه جمله تحتاج الى تفصيل ومنهم قد يحتاج في بعضه الى تفسير وسنذكر ذلك
بمشيته الله وعونه ولكن قد يمكن ان يقال في البديع الذي حكيناه واضفناه اليهم
ان ذلك باب من ابواب البراعه وجنس من اجناس البلاغه وانه لا ينفك القرآن من
فرق فنون بلاغاتهم ولا وجه من وجوه فصاحاتهم واذا اورد هذا المورد ووضع
هذا الموضع كان جديرا وانما نطلق القول اطلاقا لانا لا نجعل الاعجاز متعلقا
بهذه الوجوه الخاصه ووقفا عليها ومضافا اليها وان صح ان تكون هذه الوجوه
موترة في الجمله اخذه بخطها من الحسن والبهجه متى وقعت في الكلام على
غير وجه التكلف المستبشع والتعمل المستشنع **فصل في كيفيه**
الوقوف على اعجاز القرآن قد بينا انه لا يتهيا لمن كان
لسانه غير العربيه من العجم والترك وغيرهم ان يعرفوا اعجاز القرآن الا ان يعلموا
ان العرب قد عجزوا عن ذلك فاذا عرفوا هذا بان علموا انهم قد تحدوا على ان يا توا
بمثله وقرعوا على ترك الاتيان بمثله ولم ياتوا به تبينوا انهم عاجزون عنه واذا
عجز اهل ذلك اللسان فهم عنه اعجز ۞ وكذلك نقول ان من كان من اهل اللسان
العربي الا انه ليس يبلغ في الفصاحة الحد تينا هي الى معرفه اساليب الكلام ووجوه
تصرف اللغة وما يعدونه فصيحا بليغا بارعا من غيره فهو كالاعجمي في انه
لا يمكنه ان يعرف اعجاز القرآن الا بمثل ما بينا انه يعرف به الفارسي الذي بدانا
بذكره وهو من ليس من اهل اللسان سواء ۞ فاما من كان قد تناهى في معرفه
اللسان العربي ووقف طرفها ومذاهبها فهو يعرف القدر الذي ينتهي اليه وسع
المتكلم من الفصاحه ويعرف ما يخرج عن الوسع ويجاوز حدود القدر فليس يخفى
عليه اعجاز القرآن كما يتبين جنس الخطب والرسايل والشعر الجيد والردي و
الفصيح والبديع والنادر والبارع والغريب وهذا كما يتميز اهل كل صناعه صنعتهم
فيعرف الصغير في امن النقد ما يخفى على غيره وان كان يبقى مع معرفه هذا الشان
امر اخر ربما اختلفوا فيه لان من اهل الصنعه من يختار الكلام المتين والقول
الرصين ومنهم من يختار الكلام الذي يروق ماوه وتروع بهجته ورواه و
يسلس ماخذه ويسلم وجهه ومنفذه ويكون القريب المتناول غير عويص اللفظ
ولا غامض المعنى كما يختار قوم ما يغمض معناه ويعرب لفظه ولا يختار ما سهل

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)